

تفسير أبي السعود

الزخرف .

. - 1 4

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذى مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير إسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فإن ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على أنه مقسم به إما ابتداء أو عطفاً على حم على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكريم القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية المبين أى البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة إنا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى لعلمكم تعقلون فإنها المحتاجة إلى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة أعدائهم أي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعدائكم بالكلية وإنه في أم الكتاب أى في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرء إم الكتاب بالكسر لدينا أى عندنا لعلى رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لأن وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان أتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم الكتاب ولدينا والجملة إما عطف على الجمل المقسم عليها داخله في حكمها ففي الإقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وإيدان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيان إلى الاستشهاد عليه بالأقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الإقسام به كما أنه كاف فيها من حيث إعجازه ورمز إلى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر أولى منه بالإقسام به وأما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذى انبأ عنه الإقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم